تفسير إبن كثير

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ

المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطيا من آل فرعون .قال السدي : كان ابن عم فرعون ، ويقال : إنه الذي نجا مع موسى . واختاره ابن جرير ، ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيليا ; لأن فرعون انفعل لكلامه واستمعه ، وكف عن قتل موسى - عليه السلام - ولو كان إسرائيليا لأوشك أن يعاجل بالعقوبة ; لأنه منهم .وقال ابن جريج عن ابن عباس : لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون ، والذي قال : (يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) [القصص : 20] رواه ابن أبي حاتم .وقد كان هذا الرجل يكتم إيمانه عن قومه القبط ، فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون : (ذروني أقتل موسى) ، فأخذت الرجل غضبة الله - عز وجل - و " أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر " ، كما ثبت بذلك الحديث ، ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي

قوله : (أتقتلون رجلا أن يقول ربي االله) [أي : لأجل أن يقول ربي االله] ، اللهم إلا ما رواه البخاري في صحيحه حيث قال :حدثنا علي بن عبد االله ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني يحيى بن أبي كثير ، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي ، حدثني عروة بن الزبير قال : قلت لعبد االله بن عمرو بن العاص : أخبرني بأشد شيء مما صنعه المشركون برسول االله - صلى االله عليه وسلم - قال : بينا رسول االله - صلى االله عليه وسلم - يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط ، فأخذ بمنكب رسول االله - صلى االله عليه وسلم - ولوى ثوبه في عنقه ، فخنقه خنقا شديدا ، فأقبل أبو بكر - رضي االله عنه - فأخذ بمنكبه ودفع عن النبي - صلى االله عليه وسلم - ثم قال : (أتقتلون رجلا أن يقول ربي االله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) .انفرد به البخاري من حديث الأوزاعي قال : وتابعه محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عروة ، عن أبيه ، به .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني ، حدثنا عبدة عن هشام - يعني ابن عروة - عن أبيه ، عن عمرو بن العاص أنه سئل : ما أشد ما رأيت قريشا بلغوا من رسول االله - صلى االله عليه وسلم - ؟ قال : مر بهم ذات يوم فقالوا له : أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟ فقال :

" أنا ذاك " فقاموا إليه ، فأخذوا بمجامع ثيابه ، فرأيت أبا بكر محتضنه من ورائه ، وهو يصيح بأعلى صوته ، وإن عينيه ليسيلان ، وهو يقول : يا قوم ، (أتقتلون رجلا أن يقول ربي االله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) حتى فرغ من الآية كلها .وهكذا رواه النسائي من حديث عبدة ، فجعله من مسند عمرو بن العاص ، رضي االله عنه .وقوله : (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أي : كيف تقتلون رجلا لكونه يقول : " ربي االله " ، وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق ؟ ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال : (وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) يعني : إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به ، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه ، فلا تؤذوه ، فإن يك كاذبا فإن االله سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة ، وإن يك صادقا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم ، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة ، فمن الجائز عندكم أن يكون صادقا ، فينبغي على هذا ألا تتعرضوا له ، بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه .وهكذا أخبر االله [تعالى] عن موسى - عليه السلام - أنه طلب من فرعون وقومه الموادعة في قوله : (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول

كريم . أن أدوا إلي عباد االله إني لكم رسول أمين . وأن لا تعلوا على االله إني آتيكم بسلطان مبين . وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون . وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون) [الدخان : 17 - 21] وهكذا قال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - لقريش أن يتركوه يدعو إلى االله [تعالى] عباد االله ، ولا يمسوه بسوء ، وأن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك أذيته ، قال االله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) [الشورى : 23] أي : إلا ألا تؤذوني فيما بيني وبينكم من القرابة ، فلا تؤذوني وتتركوا بيني وبين الناس . وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية ، وكان فتحا مبينا .وقوله : (إن االله لا يهدي من هو مسرف كذاب) أي : لو كان هذا الذي يزعم أن االله أرسله إليكم كاذبا كما تزعمون ، لكان أمره بينا ، يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله ، كانت تكون في غاية الاختلاف والاضطراب ، وهذا نرى أمره سديدا ومنهجه مستقيما ، ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه االله ، وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله .